١٠ ـ بين القاهرة وطوس

طهران الى قم واصبهان

للدكتور عبد الوهاب عزام

أوى الركب الى الفندق متعباً ، وجمتُ التعب والمرض ، وكان وزير المعارف والعلامة بديع الزمان قد كلمانى والأستاذ البادى فى إلقاء محاضرة فى مدرسة سپهسلار بعد الاياب من مشهد ، فعدنا الى طهران وإذا رقاع الدعوة قد أرسلت ، وإذا الجرائد تخبر بأنى سألقى محاضرة فى مدرسة سپهسلار والساعة ست من يوم الخميس . فأصبحت فى شغل من هذا الأمر أجهد للوفاء بالوعد ، فاذا جسم عليل وصوت مبحوح ، فكلمت الأستاذ بديع الزمان معتذراً ، فجاء الى الفندق هو ورئيس المدرسة وطلبا من الأستاذ البادى أن يقول كلمة ، فوعدهما ، ووعدتهما أن أكون طوع أمرهما إن رزقت العافية ، وإلا أرسلت كلمة تقرأ على الحاضرين[1] فلما دنا الموعد أجاب الأستاذ البادى الدعوة ، وأرسلت كلمتى مع السيد صالح الشهرستانى مكاتب البلاغ فى طهران ، فقرأها على الجمع ، وكان موضوعها موقف المسلمين من مدنية أوربا ، وما يلزمهم من الاستمساك بسنتهم ، وأخذ الحذر أن يفتتنوا فيقلدوا فيضلوا . وتكلم الأستاذ البادى فى العلائق التاريخية بين مصر وإيران ، وقد قرأت فى الجرائد الايرانية بعد العودة الى مصر وصف الاحتفال وترجمة الكلمتين ، وخطبة الأستاذ بديع الزمان فى مكانة اللغة العربية بين الفرس . وقد نشرت جريدة البلاغ الخطب الثلاث ، كما نشرت بياناً وافياً عن حفلات الفردوسى كلها

وكان فى خطة وفود الفردوسى الذهاب الى أطلال مدينة الرى وهى على مقربة من طهران ، فتخلفت مكرها أسيفاً ، ويوم الجمعة جُلنا فى المدينة ، فاشترينا من الكتب والاسطوانات (والايرانيون يسمونها الصفحات . وهى تسمية أقرب الى الحقيقة واللغة) وزرنا المفوضية المصرية مودعين ثم خرجنا الى دار على أصغر خان المعروف فى طهران باسم المصرى ، وهو أخو حسن بك اليزدى التاجر الكبير بالقاهرة ، وكان يحتفل بختان أنجاله ، فجلسنا فى جماعة من الفضلاء ، واستمعنا للمرة الثانية الى غناء المطربة ملوك خانم ، واقترحت أن تسمعنا الأغنية المطربة : «مرغ سحر ناله سر كن» لنودع طهران على هذه النغمات الحزينة ، ثم تحدثت المغنية ، فاذا هى تعرف أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وتدلى برأيها بينهما ، فقلنا هذا كلام ملوك . قالت نعم . وكلام الملوك ملوك الكلام . فانظر كيف يعنى الايرانيون نساء ورجالاً باللغة العربية عناية آبائهم من قبل . ثم استأذنا فى القيام لتأخذ أهبتنا للسفر الباكر صباح الغد

برحنا طهران والساعة عشر من صباح السبت حادى عشر رجب (٢٠ اكتوبر) أنا والأستاذ البادى فى سيارة مفردة ، وهو أول سفر لنا فى إيران منفصلين عن وفود الفردوسى ؛ سافر جماعة من طريق الشمال ، وآخرون أخذوا طريق بغداد أدراجهم ، وجماعة آثروا المقام فى طهران يوماً أو يومين ، وكانت نيتنا اصبهان ، وبينها وبين طهران تسع ساعات بالسيارة ، وقد تقدمنا بمدة يسيرة الشاعر الانكليزى درينك ووتر

وقفنا بعد أربعين دقيقة على قرية ، فرُئيت جوازات السفر ، وكذلك طُلبت الجوازات فى كل مدينة مررنا بها ، حين ندخلها وحين نخرج منها حتى رجعنا إلى همذان على طريقنا الأولى من بغداد إلى طهران . وذلك أن هذه الطريق كانت طريق الوفود فى ذهابهم وإيابهم فيُسر لهم السير وأعفوا من مراسم السفر فى إيران

وبعد الظهر بقليل نزلنا فى محطة على الطريق اسمها منظرية فدخلنا بستاناً فيه أشجار رمان فأكلنا واسترحنا ساعة ، ثم سرنا حتى بلغنا مدينة قمّ والساعة اثنتان وثلث . فدخلنا ونحن نذكر قصة الصاحب بن عباد وقاضى قم . كتب إليه الصاحب

أيها القاضى بقم قد عزلناك فقم

فكان القاضى يقول إذا سئل عن سبب عزله : أنا معزول

(١) لما بلغت بالكتابة هذا الموضوع دق التليفون ، فقلت من ؟ قال : السندباد — والسندباد اسم سميت به السائح المسلم الهمام محمود بشير القربى الذى صحبنا فى أسفارنا بإيران ، وتخلف عنا فى طهران — فقلت : أهلا وسهلا بالسندباد البرى ؛ فقال : والبحرى والهوائى . وأحسب السندباد سيطوف العالم قبل أن أنتهى من كتابة رحلتى بين القاهرة وطوس

السجع من غير جُرم ولا سبب

قم مدينة فى العراق العجمى على الجادة بين طهران واصبهان وعلى ١٢٠ كيلاً إلى الجنوب الغربى من طهران . يشقها نهر يأتى من جُرباذَقان قرب همذان . وفاكهتها كثيرة منها الرمان والتين والبطيخ والفستق

قال ياقوت : « وهى مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم بها ، وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعرى » وذلك فى عهد الحجاج بن يوسف . والظاهر أنها قديمة كانت قبل الاسلام ، ثم عمرت فى الاسلام ومصرت

وقد قال دعبل بن على فيها .

تلاشى أهل قم واضمحلوا ... تحل المخزيات بحيث حلّوا
وكانوا شيدوا فى الفقر مجداً ... فلما جاءت الأموال ميّلوا

ظلت بقمّ مطيتى يعتادها ... همان : غربتها وبعد المدلجَ
مابين علج قدتمرب فانتمى ... أو بين آخر معرب مستعلج

وأهلها عرفوا بالتشدد فى التشيع قبل أن يعم التشيع إيران ؛ وقد روى ياقوت فى ذلك حكاية ظريفة قال :

«ومن ظريف مايحكى أنه ولّى عليهم وال ، وكان سنيا متشدداً ، فبلغه عنهم أنهم لبغضهم الصحابة الكرام لايوجد فيهم من اسمه أبو بكر قط ولا عمر . فجمعهم يوماً وقال لرؤسائهم : بلغنى أنكم تبغضون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكم لبغضكم إياهم لاتسمون أولادكم بأسمائهم . وأنا أقسم بالله العظيم لئن لم تجيئونى برجل منكم اسمه أبو بكر أو عمر ، وثبت عندى أنه اسمه لأفعلن بكم ولأصنعنّ . فاستمهلوه ثلاثة أيام ، وفتشوا مدينتهم واجتهدوا فلم يروا إلا رجلاً صعلوكاً حافياً عارياً أحول ، أقبح خلق الله منظرا ، اسمه أبوبكر لأن أباه كان غريباً استوطنها فسماه بذلك ، فجاءوا به فشتمهم وقال : جئتمونى بأقبح خلق الله تتنادرون علىّ وأمر بصفعهم : فقال له بعض ظرفائهم : أيها الأمير اصنع ماشئت فان هواء قمّ لا يجئ منه مَن اسمه أبو بكر أحسن صورة من هذا . فطلبه الضحك وعفا عنهم . »

وقمّ تلى المشهد الرضوى بين مزارات الشيعة فى إيران ، بها حرم السيدة فاطمة بنت موسى الكاظم وأخت على الرضا ، ولذلك دفن فيها كثير من العلماء والصالحين والملوك . وقد روى الشيعة فيها عن جعفر الصادق : ألا إن لله حرماً وهو مكة . ألا إن لرسول الله حرماً وهو المدينة . ألا إن لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ، ألا إن حرمى وحرم ولدى من بعدى قم . ألا إن قم الكوفة الصغيرة . ألا إن للجنة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم « تقضى فيها امرأة هى من ولدى واسمها فاطمة بنت موسى . ويدخل بشفاعتها شيعتى الجنة بأجمعهم . » اه

لما اقتربنا من المدينة رأينا قبة المعصومة أخت الرضا تبصّ فى الهواء فى حلتها الذهبية . ولما دخلنا المدينة وقفنا على مخفر الشرطة فرأوا جوازات السفر . وقال سائق السيارة لشرطى ، هذان من المستشرقين يريدان زيارة الحرم فصحبهما . فسار الشرطى أمامنا فى رحبة تملؤها أنقاض دور مهدّمة ، وبصرنا بنهر صغير سريع الجرية . قال الشرطى : طغا الماء على المدينة منذ أشهر فخرب مئات من دورها . ثم عبرنا الماء على خشبات ممدودة عليه فرأينا ماء ضحضاحاً يخوض فيه الناس والدواب . وسرنا فى شارع به دكاكين وفنادق صغيرة ، فانتهينا إلى باب المسجد . رأينا صحناً رحباً ينتهى إلى بناء عال مقبّب . ولقينا شيخ فتقدمنا فدخلنا إلى مرقد السيدة فاطمة ، وهو ضريح كبير عليه سياج من الفضة كثير الحلى . فوقف الشيخ يدعو بالعربية دعاء طويلاً ذكر فيه الأئمة العلويين . ثم ملنا ذات اليسار إلى حجرة بها قبر كبير مربع لاسياج له ولا زينة ، قال هذا قبر الشاه عباس ، ثم ولجنا باباً إلى حجرة أخرى بها قبران أحدهما للشاه حسين آخر الصفويين ، والآخر للشاه طهماسب ، فيما أذكر ، فهؤلاء ثلاثة من الملوك الصفويين دفنوا فى جوار المعصومة . ثم خرجنا إلى الصحن فرأينا حجرات فيها قبور لملوك القاجاريين وبنيهم . رأينا فيها قبر محمد قاجار وفتحعلى شاه وعليهما صفيحتان من المرمر الشفاف عليهما صور ملائكة ذات أجنحة ، وعلى قبر فتحعلى صورته منحوتة فى المرمر . وقد رأينا من قبل فى النجف الأشرف فى مسجد الامام على قبرا آخر للقاجاريين على هذه الشاكلة . ولست أعرف فى القبور الاسلامية قبوراً عليها صور غير هذه القبور . وسرنا الى يسار الداخل إلى الصحن فاذا باب يفضى الى صحن آخر فسيح : وهذا المسجد معهد للدراسة الدينية يقيم به الطلاب

قال الشرطى وهو يحدثنا : فى قم أربعة وأربعون وأربعمائة وأربعة آلاف من بنى الأئمة الطاهرين قتلهم الظالمون

ركبنا السيارة والساعة ثلاث وعشر نسير صوب الجنوب نؤم أصبهان

وفى المقال الآتى حديث اصفهان الرائعة الجميلة

(يتبع) عبد الوهاب عزام

اشتراك :

١ — نسيت أن أذكر فى حديثى عن مدينة المشهد أنى زرت فيها قبر الشيخ الكبير بهاء الدين العاملى الهمدانى أحد أعلام المسلمين فى القرن الحادى عشر وصاحب المؤلفات الكثيرة فى التفسير والحديث والعلوم العربية والفلك والحساب . دخل مصر وألف بها كتاب الكشكول وقال فيها :

يا مصر سقيالك من جنة قطوفها يانعـــة دانيه
ترابها كالتبر فى لطفه وماؤها كالفضة الصافيه الخ

توفى بأصفهان سنة إحدى وثلاثين وألف ، ونقل إلى المشهد فدفن بها فى داره . وقبره اليوم فى حجرة فى السوق قريبة من أحد أبواب مسجد الامام الرضا

٢ — كان طبيب قافلتنا فى الذهاب من طهران إلى المشهد والاياب ، الطبيب الحاذق نجم آبادى ، وقد عنى بى وبغيرى ممن توعكوا فى السفر . فكان حقاً علىّ أن أذكره بالثناء ، وقد جاء إلىّ ونحن بنيسابور عند قبر الخيام فقال اكتب لى فى دفترى تذكاراً . فكتبت :

قد عرانى على الطريق سقام ولنعم الطبيب نجم آبادى
قد نعمنا بخلقـــه ودواه وشكرنا له جميـل الأيادى

عزام

الاسبرانتو Esperanto

كل القواعد — ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة نظير ٢٠ مليما طوابع بريد مصرية أو قسيمة بريد للمجاوبة — أطلب النشرة نمرة ٣٠

مدرسة الأسبرانتو بالمراسلة ص . ب ٣٦٣ بورسعيد

صورة شتوية

الى بائعة شوك . . .

للأســـتاذ أنور شاؤل

أَلْبَرْدُ يَلْذَعُ وَجْنَتَيْكِ وَسَاعِدَيْكِ الْعَارِيَيْنْ
وَالْحَقْلُ أَقْفَرُ لاَ رَفِيقَ يُزِيلُ عَنْكِ الْغُمَّتَيْنْ
إِلاَّ الطُّيُورَ مُرَفْرِفَاتٍ حُوَّماً فى الْجَانِبَيْنْ
لَوْ تَسْتَطِيعُ بِمِنْقَرٍ دَفَعَتْ أَذَاكِ وَمِحْنَتَيْنْ
وَجَمَتْ حِمَاكِ بِمُقْلَتَيْنْ

الزَّمْهَرِيرُ هُوَ الأَلِيفُ يَهُبُّ لاَ رِيحُ الصَّبَا
وَخَزَانَهُ فَوْقَ الشُّهُولِ وَفَوْقَ هَامَاتِ الرُّبَى
تَنْسَابُ فى بُرْدِ الضُّحَى أَفْعًى وَتَلْسَعُ عَقْرَبَا
رِفْقاً بِحُسْنِكِ يَا صَبِيَّةُ وَاحْذَرِى أَنْ يَغْضَبَا
رِفْقاً مُخَضَّبَةَ الْيَدَيْنْ

إِنْ كَانَ ظَهْرُكِ خَاضِعاً لِعَنَاءِ مَا حَمَّلْتِهِ
أَوْ كَانَ عُنْقُكِ طَائِعاً رَهْناً بِمَا كَبَّلْتِهِ
فَالْقَلْبُ أَنَّى يَسْتَرِيحُ لِمَا بِهِ عَلَّلْتِهِ
وَالْفِكْرُ عَنْ آمَالِهِ وَرُؤَاهُ أَنَّى يَلْتَهِى
يَا مَنْ تُطِيلُ النَّظْرَتَيْنْ ؟

أَلشَّوْكُ يُدْمِى رَاحَتَيْكِ فَلاَ يَرِقُّ وَلاَ يَلِينْ
وَغَداً يَزُفُّ النَّارَ تَحْمِى فى اللَّيَالِى الآخَرِينْ
هُمْ يَدْفَؤُونَ وَأَنْتِ مِنْ قُرِّ الشِّتَا تَتَضَوَّرِينْ
تَشْقَيْنَ أَنْتِ لِكَىْ تَزِيدِى فى رَفَاهِ الْمُسْعَدِينْ
فَتَقَرُّ مِنْ بَلْوَاكِ عَيْنْ

قَطْرُ النَّدَى هَذَا عَلَى الأَشْوَاكِ أَمْ دَمْعُ الْمُقَلْ
نَارُ الأَسَى هَذِى الَّتِى تُخْفِينَ أَمْ نُورُ الأَمَلْ
إِنِّى أَرَاكِ إِلَى الْمَدِينَةِ تَقْصِدِينَ عَلَى عَجَلْ
فَحَذَارِ تَخْدَعُكِ الْبَهَارِجُ فى مَقَالٍ أَوْ عَمَلْ
أَوْ تُؤْمِنِينَ بِمَا تَرَيْنْ

بغداد

أنور شاؤل
المحامى